Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونهاية السرداب أن تطلع منه موسيقى الإمحاء والابتلاع:

«الحية ابتلعت ثوراً...

... فتشت عن قدمي، فتشت عن قدمي، عن قدمي، قدمي أضعت قدمي سعدى، سعدى، سعدى...» (ص ١٥٧).

إن قدم الإنسان هي شاهد حضوره
إن ضياع القدم هو شاهد غيابه.

في القصة التي هي بعنوان «حبة الخردل»، يزرع رجاء القيامة.

المساحات السود، الأرض المحروقة التي أوجدتها الحرب قفراً داخله وحوله يقدّها الإيمان ويطلع الضوء والنبت:

أبي في الجل، منكوشه في يده.
رفعه، غرزه في الأرض، وأعاد وأعاد حتى احمرت أحشاؤها،
فعرفت إنه سيزرع غصباً عن الحرب، وغصباً عن القنابل،
وغصباً عن السفر، في قلبي حبة الخردل» (ص ١٧٥).

هكذا عادت القصة إلى مسراها الأساسي،

عاد إليها وجهاها، وجه الغياب ووجه الحضور، بعد أن غيّبهما «السرداب» في وجه عدمي واحد.

إن أهمية المغامرة الذاتية في هذا الكتاب هي في كونها لا تنتهي إلى مطارح المحو التام والعدم العقيم.

إنها مغامرة واعدة بحضور الغياب الطالع من الحضور الغائب،
واعدة بالحياة المنتصرة على الموت،
واعدة بالحب المنتصر على الحرب،
واعدة بالفرح المبدد للفجيعة..

وعدها ليس وعداً رومنطيقياً غائماً، ذلك أن المغامرة لم تكن طلاقاً الواقع،